القرآنية في شعر عبد الأمير خليل مراد دراسة في أبعادها الحجاجية والتأثيرية.

م.م. زيد مظفر مرزة

مديرية تربية بابل

The Qur'an in the Poetry of Abdul Amir Khalil Murad: A Study of its Argumentative and Influential Dimensions

Asst. Lect. Zaid Muzaffar Marza

Babil Education Directorate

ملخص البحث

اعتمد الشاعر عبد الأمير خليل مراد في سبيل إيصال الثيمة إلى المتلقي على الفاعلية القرآنية، لإقناع المتلقي والتأثير فيه ذلك؛ لأنّ من وظيفة التناص في النصوص الإبداعية العمل على إلغاء الفواصل والحدود بين النصوص، وتماهي النص الجديد مع النصوص الأخرى المتناص معها ليُنتجَ ذلك نصًا جديدًا، حيث تكون النصوص المتماهية أثرًا، ووظيفة محاجية، وغاية إقناعية، وهذا ما يجعل النص المتماهي ينفتح على آفاق جديدة وعديدة، ما يجعله متلقى لأكثر من زمن وحدث وأكثر من دلالةٍ ويغدو النص حافلاً بالدلالات، والنص الجديد المعتمد على آلية القرآنية/ الاستدلال الحجاجي يكتسب آلية إقناعية تبعا للنص المتناص معه، القرآنية بشكل عام تمثل حجية السلطة، فالنص القرآني يمثل للمتلقي حجية سلطة عليا، وعن طريقه يخلق الشاعر في النص الشعري موقفًا اقناعيًّا يسهل عليه تمرير خطابه، ذلك؛ لأنّ النص القرآني يمثل حالة رمزية مقدسة للمتلقي، وأن صانع الفضاء الخطابي الذي يتحرك فيه خطابه يعرف ضرورة الرمز المعبر عن انتماء متلقيه فيؤثر فيه، تمكنه من الإقناع، وحمله على الإذعان.

Abstract

The poet Abdul Amir Khalil Murad relied on the Quranic effectiveness In order to convey the theme to the recipient as well as to convince and influence them. This is because the function of intertextuality in creative texts works to eliminate the divisions and boundaries between texts, and the new text identifies with other texts with which it is intertextual, to produce a new text, where the identifiable texts are an effect, a necessary function, and a persuasive goal. This is what makes the identifiable text open to new and numerous horizons, which makes it a recipient of more than one time and event and more than one meaning, and the text becomes full of meanings. The new text that relies on the mechanism of Quranic/ argumentative reasoning acquires a persuasive mechanism according to the text with which it is intertextual. Quranic in general represents the authority, so the Quranic text represents for the recipient the authority of a higher authority, and through it the poet creates in the poetic text a persuasive position that facilitates the transmission of his discourse, because the Quranic text represents a sacred symbolic state for the recipient, and the creator of the rhetorical space in which his discourse moves knows the necessity of the symbol expressing the affiliation of his recipient It influences him, enables him to be persuaded, and makes him submit.

المدخل:

نجد صدى القرآنية في النقد العربي القديم واضحًا، فابن كناسة (ت٢٠٧هـ) قد أشار إلى معنى القرآنية، فألف رسالة في (سرقات الكميت من القرآن)[١] ، أما أبو منصور عبد الملك الثعالبي (ت٤٢٩هـ) فإنه قد توسع في أنواع الاقتباس من القرآن، وجمع بين النثر والشعر، ونجد النقاد لما وجدوا أنَّ أبا تمام قد اقتبس في شعره من القرآن الكريم عابوا عليه، وقالوا له: ((فإن القرآن أجل من أن يستعار شيء من ألفاظه للشعر))[٢].

وابن بسام كان منتبهاً إلى أنواع السرقات، كما بينها نقاد المشرق، فهو حين يذكر بيت القسطلي[٣] :

وأَنِّي فِي أَفياءِ ظِلِّكَ أَشْتَكِي
شَكِيَّةَ مُوسَى إذْ تَوْلى إلى الظِّلِّ

يقرر نظر الشاعر في تناصه مع القرآن، فقال: ((وهذا البيت من لفظ القرآن العزيز، وقد أقدمت على مثل هذا جماعة من الشعراء من محدثين وقدماء؛ فمن غال متسور، ومن آخذٍ معتذر))[٤].

عُدَّ مصطلح السرقة أو الاقتباس مدار صنعة الكلام عند النقاد القدامى، وقد تعددت أنواع مصطلح السرقة عندهم، فقد أوصلها ابن رشيق ستة عشر نوعًا، هي: الاضطراب، والاجتلاب أو الاستحقاق، والانتحال، والادعاء، والإغارة، والغصب، والمرافدة أو الاسترفاد، الاهتدام أو النسخ، والنظر والملاحظة، والإلمام، والاختلاس والنقل، والموازنة، والعكس، والمواردة، والالتقاط والتلفيق، وكشف المعنى[٥]، وهذا يؤكد عندنا أنَّ العربَّ قد عرفوا معنى التناص/ القرآنية، وتحدثوا عنه وأسهبوا فيه، وهذا ما يؤكده تنوع مفهومه وأنواعه، وهذا المصطلح (الاقتباس) يبدو هو القار في الدراسات النقدية والبلاغية عند العرب فيما يخص مصطلح القرآنية.

وأما مفهوم التناص فقد ظهر في العقود الأخيرة على يد الناقدة البلغارية، جوليا كرستيفيا، وثم تبعها بعد ذلك عدد من النقاد منهم رولان بارت، وجيرار جنيت، فالنص عند جوليا هو جهاز عبر لساني متكّون من نصوص عديدة سابقة، فالنص

إذًا هو ترحال وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتداخل وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص سابقة[٦]، واستفاد رولان بارت من تعريف التناص لجوليا كرستيفيا، فيقوم النصُّ على أساس نصوص سابقة وحالية، وإحدى طرق بناء النص، الهدم وإعادة البناء مبادلة النصوص أو نُتَفٍ من نصوص وُجِدَتْ أو ما زالت توجد حول النصّ المعني ثم اندرجت فيه، لذلك فكُلُّ نصٍّ بمثابةِ نصٍّ جامعٍ، يتشكلُ مِنْ نصوصٍ مختلفةٍ وبمستوياتٍ متغيرةٍ، وبأشكالٍ قد نتعرّفها قليلاً أو كثيراً، فكُلُّ نصٍّ هو نسيجٌ طارفٌ مْنْ شواهد تالدة[٧].

ومفهوم القرآنية ينحدر من مصطلح الاقتباس/ التناص، إلا أنه يتقاطع معها ذلك أن مفهوم القرآنية يقوم على أساس تشكل نسيج النص من تراكيب القرآن الكريم ومفرداته، ومعجمه، على نحو يدعو إلى تأكيد فاعلية النص القرآني، بكونه قاعدة معرفية وثقافية، يستند إليها النص، بوصفه استدلًا حجاجيًا، هدفه الإقناع والتأثير في المتلقي.

ومصطلح القرآنية من المصطلحات الحديثة التي اجترحها الدكتور مشتاق عباس معن، فعرفه بقوله ((آلية من الآليات التي يتوسل بها المبدع في تشكيل نصوصه الإبداعية من جهتي الرؤيا والاتساق (بنية وإيقاعًا) بحسب ما هو مرسوم في الكتاب المقدس(القرآن))[٨].

وما دامت القرآنية تقوم على كشف التعالقات القرآنية المذابة في النص الجديد، فبذلك فمهمة الباحث تقوم على رصد العلاقات بين النص، وكشف عن مدى إسهام النص القرآني في توليد النص الجديد، وتشكيله، ورصد الاستراتيجيات الحجاجية التي يقوم عليها النص، والنص الجديد فما دام أنه قام على آليتي الترسيب والتحويل للنص القرآني، ومراكمتها في النص، لجعلها من أدوات بناء النص، وكذلك من الأدوات الحجاجية/ الاستدلالية التي يعمد إليها المبدع، لمخاطبة القارئ وإقناعه،

فهو نص منفتح، والنص نسيج لغوي يتكون من فسيفساء، واللغة التي ينشأ منها النص تقوم على حجاجية((يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع (Les faits) المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضاً وأساسًا بواسطة بنية هذه اللغة نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها))[٩]، ويرى بيرلمان أنَّ الحجاج ((جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع))[١٠]، وبما أنَّ النص يتشكل من مجموعة من النصوص الغائبة المذابة فيه، فتكون هذه النصوص أحد الأدوات والأقوال التي يستدعيها المبدع للتأثير في المتلقي، واستدعائه ليكون مشاركًا.

المادة القرآنية المستدعاة في النص لا تقوم على استدعاء المبدع وحده بل خاضعة لشروط بنوية النص، ((لا وجود لما يتولد من ذاته، بل من تواجد أحداث متسلسلة ومتتابعة، ومن توزيع للوظائف والأدوار))[١١].

والمستوى الآخر من وظائف التناص الحجاجي التحويل، هي عملية استدعاء المادة القرآنية، وترسيبها وتحويلها لمادة جديدة منصهرة في النص الجديد، وهذا ما يجعل النص يقوم على مرجعية قرآنية خارج نصية، وعملية التحويل ترتكز على عرض المادة القرآنية في النص الجديد، وهذا يسهم في التأثير على المتلقي في ضوء خرق أفق توقع القارئ ومفاجئته بطرق عرض لم يألفها، ذلك أنّ التناص خصوصًا إذا كان قصديًا،((يجب أن تكون له وظيفة جمالية غالبًا ما ترتبط بنظرية التلقي، من أجل التأثير في هذا المتلقي، فيرتبط بنص آخر، وهو يقرأ النص الراهن))[١٢].

القرآنية في شعر عبد الأمير خليل مرد نجدها في شعره على أربعة مستويات:

المستوى الأول: مستوى التركيب.

المستوى الثاني: القرآنية غير المباشرة.

المستوى الثالث: المعجم.

المستوى الرابع: القرآنية الإيحائية.

الأول: المستوى التركيبي:

أقصد به القرآنية المباشرة، التي

تقوم على استدعاء التركيب القرآني من غير تدخل أو تغيير، ويستند الشاعر على هذا الاستدعاء التوظيفي في شعره ليستفيد من المعطيات الثقافية والحجاجية للنص، ليخلق تشابهًا بين النصيينِ، لكن هذا التشابه غير متطابق، بل فيه من الافتراق ما يتناسب مع طبيعة النص المنشأ، ودواعيه الحجاجية.

نقرأ له في قصيدته (صحيفة المتلمس) ، فقد أستدعى فيها التركيب القرآني في خمسة مواضع، من ذلك قوله[١٣]:

سأمحو صدأَ الوقتِ بذاكرةٍ
حُبلَى
وأمحو وشمَ الذاكرةِ بدموعِ
الخنساء
حتى أبلوَ من أنبائي بغيابي في الجُبِّ
أبلو أحفادي النزقينَ
مِنْ نسل العبد الصالح صلاح الدين
أو نسل ابن (ال.....)
(بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ
الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ.....
وَالثَّمَرَاتِ.....)

يتكئ الشاعر على بناء نصه على التركيب القرآني من سورة البقرة، وهذا التركيب في السورة هو خطاب الله تعالى لأتباع رَسول الله ﷺ وأصحابه، وامتحنهم بضروب المحَن، في حين بنية النص الشعري تتقاطع مع النص القرآني، فالشاعرُ بوصفه الشاهد والراوي لتلك الأحداث التي عاصرها، في زمن حاكم من حكام العراق، الذي لم يصرح باسمه وذكره (ال....) ، وهذا البياض خلاف يدلُّ إلى العبد الطالح (صدام حسين) ؛ لأنه قد ذكر في نظيره(مِنْ نسل العبد الصالح) ، فقد عاث هذا العبد بالبلاد والعباد الفساد، وأهلك الحرث والنسل، وجراحات تلك الأيام وآلامها جعلت الشاعر يبوح بما في ذاكرته الحبلى من ألمٍ وفظائعٍ.

الاستدلال الحجاجي للبنية التركيبية القرآنية، في نص الشاعر تدلُّ على الفظائعِ والجراح - على خلاف النص القرآني الدالَ على الاختبار والامتحان-، بدلالة الفعل (أبلو) الطبيعة التداولية لهذا الفعل

عند العرب أنَّهُ يعتمدُ على ثنائيتي المعنى(الخير، والشر) ، غير ((أنَّ الأكثر في الشر أن يقالَ: (بلوته أبلوه بلاء) ، وفي الخير: (أبليته أبليه إبلاء وبلاء))[١٤]، واعتماد صيغة (أبلو) الدالة على الشر، تؤكد أنَّ البنية النصية له قائمة على الشر، لهذا قد عمد في التركيب القرآني على تقنية البياض في المفردتين (وَالْأَنْفُسِ) و(وَالثَّمَرَاتِ)، وهذا يشير إلى أكثر الأشياء التي بالغ فيها العبد الطالح في إيذاء العباد، فقد استدعى القارئ عبر هذه التقنية لملء تلك البياضات والمشاركة في صناعة المعنى، فالشاعرُ قد عمدَ عبر ذلك الاستدعاء الحجاجي، والبنية التداولية للفعل (أبلو) ، أراد أن يبلغَ أمرين: الأولُ: أن يخلصَ أحفاده، الذين لم يشاهدوا تلك الفظائع، ويقنعهم عبر الاستدلال الحجاجي للنص الكريم، عن فظائع ذلك العبد وظلمه، عبر قوة الملفوظ الحجاجي (بشيء) وقوته التقريرية في إثبات ذلك الظلم، وتعدده فالقول (بشيء) ، وليس بأشياء، لأنَّه جاء على الاختصار، فالظلم جاء على أشياء متعددة شيءٍ من الخوف وشيءٍ من الجوع وشيءٍ من نقص الأموال والأنفس[١٥]، والأمر الآخر: أراد أن يتخلص من ذلك الظلم الذي أتعب نفسه، وأرهقها، لهذا نراه قد عمد إلى توظيف الفعل المضارع عبر كفاءته التداولية (سأمحو صدأَ الوقتِ)، و(وأمحو وشمَ الذاكرةِ بدموعِ الخنساء) عبر تقنية التوازي التركيبي، التي تؤكد أنَّ الشاعرَ كان يعاني من ذلك الظلم، وعناء النفس، لا ينمحي إلا بالسرد، وكان أشد العناء عند الشاعر هو(الأنفس) و(الثمرات) ، فعمد إلى فصل هذه المفردات عن سياق الآية، وتبيضها، وبذلك فقد زاد من عملية الاختصار السابقة للاسم (شيء) عبر البياض، لما في تلك المفردتين معانٍ متعددة، فكأنه قد أباح ممّا يعانيه الشاعر عبر تقنية الاحتيال الكلامي خوفًا من عيون السلطة التي تراقبه.

ونرقب له في قصيدة (شوكة المواريث) التي استدعى فيها التركيب القرآني مرتين، من ذلك قوله[١٦]:

ونزفُّ البيدرَ الضامرَ للشمسِ
وهذا الجوع لم (نَبْرَحْ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ)

يبنى النص عبر الاستدعاء القرآني من سورة (طه) من قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [طه:٩١]، فالسياق التركيبي المُستدعَى من السورة يدلُّ أنَّ قومَ موسى عليه السلام لم يطيعوا أمر هارون، وبقوا عاكفين على عبادة العجل منتظرين أمر النبي موسى، وهذا الانتظار، يدلُّ على عنادهم وكفرهم، أما دلالته في النص الشعري فيتقاطع مع النص القرآني؛ يدلُّ أنَّ الجوعَ لم يبرحوا عليه مقيمين.

فقد أستدعى الشاعر البنية الاستدلالية القرآنية، ليسحب القارئ إلى منطقة معتمة من زوايا ماضي الشاعر، وما كان يعانيه البلد من الفقر والجوع والعوز، عبر توظيفه تقنية الاستبدال السيميائي، فقد أستبدل حرف النفي(لم) بـ(لن) ، الدال على المستقبل، وبهذا تتقاطع مع دلالة (لم) الدال على الماضي المنقطع، وكذلك عمد إلى التمويه المعجمي، لمفردة (نزفٌ) الملازمة للفرح، ولكن هذا المعنى قد تغير بقرينة (الضامر) ، فهذا الانزياح الدلالي للمفردة، قد أعطى قوة تعبيرية للكلمة، في تأثيرها على المتلقي، عبر القوة الانجازية التلفظية للفعل المنفي (لم نبرحْ) الذي ينعكس بدوره على نفسية المتلقي، فالإقناع يحصل عبر إدراك أو لمس مدى التأثير على المتلقي، تجاه ما يقوله المتكلم، عبر ما يقدمه من حجج استدلالية، التي تؤدي إلى نتيجة إقناعية وتأثيرية.

ويستدعى التركيب القرآني في قصيدته (مكابدات الحافي) من ذلك، يقول[١٧]:

أَنا بِشْرُ الحَافِيْ
أَتْلُو مَا بَيْنَ صَبَاحِيْ وَمَسَائِيْ
(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا)
فَأَكَلِّمُ عِيْسَى فِي الْمَهدِ صَبِيًّا
وَأُخَاصِرُ مُوْسَى عِنْدَ تُخُوْمِ الطُّوْرِ
وَأَكُبُّ عَلَى نَعْلِ أَبِي القَاسِمِ

يبني هذا النص من فسيفساء من التعالقات النصية القرآنية، ومن هذه الاستدلال التركيبي من سورة (الزلزلة) ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]، فالآية تشير عند قيام الساعة تتحرك الأرض حركة شديدة وتضطرب حتى يُكسَرُ كُلُّ

شيءٍ، ويخرجُ منها كُلُّ شيءٍ، أما في بنية النص فأنه يتقاطع مع هذه الرؤية، ويشيرُ إلى صوفية الشاعر وورعه، فهو إنسان زاهد متجردُ من الدنيا وزخرفها.

فالاستدلال القرآني يكشف عنه ورعه وتقواه، بدلالة (أَتْلُو مَابَيْنَ صَبَاحِيْ وَمَسَائِيْ)، وتوظيفه للفعل المضارع (فَأَكَلِّمُ) و(وَأُخَاصِرُ)، فهذه الملفوظات التقريرية تؤكد، تقوى الشاعر وقوة إيمانه، ممّا جعله يكلم عيسى، ويتماشى مع النبي موسى عليه السلام أحدهم آخذاً بيد غيره عند تخوم الطور؛ ليكلما الله تعالى، فالاستدعاء التوظيفي للتركيب القرآني، يكشف للمتلقي حجاجية التوظيف التناصي، فتوظيفه ((للنص القرآني بنصِّه دونَ تحويرٍ أو تحويلٍ، عن طريقِ إدماجِهِ في النَّصِّ المقاميِّ؛ ممَّا يُكسبُ الخطابَ سلطةً رمزيةً تجعلُ المُتلقِّي يُذعِنُ لمرامي المُرسلِ))[١٨].

ونلحظ له في قصيدته (سُمّيةُ الجديدةُ تمشي بيننا)، فقال[١٩]:

في فمِ هذا الطيرِ الجوّالْ
قد قُمتِ....فقامَ النخلُ وضيئًا
وتقطّرتِ....فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ

بمعارجها
وتلوّت دجلةُ كالمقصورةِ

الاستدعاء التوظيفي للتركيب القرآني تكشف عن مهارة حجاجية في إقناع المتلقي، وفتح قنوات حوار معه، فيما يريد أن يخبرَ به، فعند قيام الشهيدة، وفاء إدريس قد قام النخل لها بحسنه وبهجته، وهذا القيام، قيام إجلال وإكبار لها؛ لكونها شهيدة، والاستدلال الحجاجي للتركيب القرآني، يكشف عن بنية النص، فعندما سقطت الشهيدة، فسالت أودية منها، ممَّا جعل نهر دجلة يتلوّى من كثرة سريان الدم إليه، فسالت منه فروع الأودية وأفناء الشعاب، وعزاز الأرض، وهذه الرؤية تتقاطع مع النص القرآني المُستدعى من سورة الرعد، من قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد:١٧].

فالاستدلال القرآني يكشف عن منحيين: الأول: أنَّ الشهيدة قد صُرعت بوحشية، فسالت من دمها الأودية والشعاب وعزاز الأرض، والثاني منه: إنَّ الدم الذي سالَ من هذه الشهيدة قد روى الأرض، فكسى زرعها حسنًا وجمالاً، وبهذا شكل رسالة لكل مَنْ يشاهدُ هذا الحسن، فيلهبه الثورة ضد الظلم والاستبداد.

فالاستدعاء التركيبي القرآني، قد أكتسب في النص منحى تداوليًّا أغنى النص، وأثر على المتلقي، فالاستدلال الحجاجي القرآني يكشف في النص، قوة التركيب القرآني، وقدرته على الإقناع، وقد مكن هذا الاستدلال على التأثير في المتلقي، وجعله مشاركًا فعالاً في صنع المعنى.

المستوى الثاني: القرآنية غير المباشرة:

هذا النوع يعمد الشاعر إلى التحوير، والتدخل في الخطاب القرآني، ليذيب التركيب القرآني في نصه، ويجعله في جسد نصه، فيذيب النص المُستدعى، فيمنح نصه متانة داخلية، وهذا النص المُستدعى، يمنح نصه وظيفتين: الأولى: وظيفة دلالية ترفد النص المقامي، وتعمق دلالة النص الشعري، والأخرى: وظيفة حجاجية اقناعية.

ونرقب هذا النوع في قصيدته (أنبؤوني يا بناةَ العالم) ، فيقول[٢٠] :

آهٍ..... يا هذا العالمُ
يا وجعًا أبديًّا يأكُلُ أيّامِي
ويُدَحْرِجُ أشْبَاحِي في شِقْشِقَةِ
المِنْشارْ
خَلَيْنِي أَصْهَلُ في كَفَنِي
وأُتْمِتِمُ قَبلَ بُلُوغِ الحُلْقُومِ.... متى؟
وَمَزَامِيري بَعضُ شَقَاءْ

يشكل الاستدلال التوظيفي القرآني في بنية النص، دورًا واضحًا في إغناء البعد الدلالي في النص، وجلب أنظار القارئ ليكون مشاركًا فعليًّا في كشف أبعاد النص، عبرَ عمليتي فك شفراته، وتأويلها، فالشاعر يحاول أن يبلغ رسالة الوجع والآلام التي عاناها إلى كُلِّ العالم، قد اعتمد في ذلك عبر تقنية البياض التي تسهم في إشراك القارئ في التأويل اللانهائي، وممّا عزز حضور القارئ الخطاب المباشر

عبر آلية النداء (يا) النداء، ونلحظ أنه قد جعل المنادى (الوجع) ليمرر رسالة إلى القارئ مفادها، مدى الآلام التي يعانيها، فأيامه يأكلها الوجع، وأشباحه في النهارات تعبر على شقشقة المنشار، هذه الاستعارة التصويرية، تعزز كثافة المعنى، فالآلام عنده تصلُ إلى درجة أنّه يتمتم قبل بلوغ الروح الحلقوم، متى تنتهي آلامه، وتوظيف اسم الاستفهام الزماني (متى) ، تدلُّ على مدى اليأس الذي وصل إليه، ولم تنتهي هذه الآلام، فقد وصلت روحه إلى منتهاها، وهو يتمتم بذلك الوجع، وهذا الملفوظ الاستفهامي للاستدلال التوظيفي القرآني من شأنه أن يؤدي في النص وظيفة الحجة كما يؤديها أي نص آخر، لهذا ((أنَّ القيمة الحجاجية للملفوظات الاستفهامية الواردة ضمن التأليف الحجاجي في موقع الحجة تتمثل (أي هذه القيمة) في التوجه الحجاجي الذي يختص به المحتوى القضوي لهذه الجمل بعد تحويلها من صيغة الاستفهام إلى صيغة النفي))[٢١]، ونرقب أنه قد وظف في النص الاستدلالي التوظيفي، تقنية البياض(وأُتْمِتِمُ قَبلَ بُلُوغِ الحُلْقُّومِ.... متى؟) ، هذه التقنية تجعل القارئ مشاركًا فعليًّا في إسهامه في التأويل وفك شفرات البياض، ليحاول ملأها وتأويلها، وتكرار هذه العملية، تجعل نصه مفتوحًا.

هذه الرؤية متعارضة مع التركيب المُستدعى من سورة الواقعة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة:٨٣]، فالمعنى المحوري للتركيب القرآني ((فهلا إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند النزع وأنتم حضور أمسكتم روحه في جسده، مع حرصكم على امتداد عمره، وحبكم لبقائه))[٢٢].

وقد يتخيل الشاعر فيبني من المعاني القرآنية الرمزية شخصية يحاورها، وهذا ما نرقبه في قصيدته(الوطنُ أول الأشياء)، فيقول[٢٣] :

خُضّي أول العنقودِ.....
يسّاقطْ عليكِ البشر
والأيامُ تورقُ سُنبُلاً

ونوافذُ الوطنُ الجميلِ
تَلفها هذي القناديلُ البهيةُ

يعتمد الشاعر في بناء نسيج النص على الاستدلال التوظيفي القرآني من سورة مريم، من قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم:٢٥]، نرقب أنَّ الشاعرَ قد اتخذ من مسار الشهادة، نبراس الأمل في بناء الوطن، وهي من تحمل مشعل الخير والأمل، فالاستدلال القرآني للنص ينسجم مع محورية المعنى الوظيفي للنص القرآني، الدال على الخير والرزق، ولكنه يتقاطع مع طبيعة(يسّاقطْ) الوظيفة التداولية لمعنى الفعل المضارع، فتساقطت النخلة رطبًا جنيًا، لتأكل منه السيدة مريم بعدما أصابها الجوع والهلع أثر ولادة السيد المسيح، أما المحور التداولي للفعل في النص الشعري، يدلُّ على تساقط البشر، ذلك أنَّ من المعاني السامية للشهادة في سبيل الوطن، هي إحدى طرق بنائه، فهذا الوطن ما أن تخض الشهادة، حتى يلبي النداء الكثير من أبناء الوطن هذا النداء من أجل الحفاظ على الوطن وتربته.

فالاستدلال غدى وظيفة إقناعية غايتها خلق حجاج القدوة ((بدل أن تُستخدم الحالة الخاصة كمثال أو شاهد، يمكن أن تُقدَّم كقدوة يُحتذى بها، لكن ليس أي فعل أهلاً لأنَّ يُحتذى: فالمرء لا يُحتذى إلا بمن يُعجب بهم، وبمن يتوفّرون على سلطة، وعلى هيبة اجتماعية تعود إلى كفاءتهم أو وظائفهم أو صفهم الاجتماعي))[٢٤].

أما في قصيدته (أبجديات كمال سبتي الألفية) فيقول[٢٥] :

ألأني من(سومر) تغضنت كلماتي
الأليفة....؟
كالعرجون العتيق إذ يتلّوى على ضلوع
العصور
السالفة

أضفت القرآنية على النص الشعري نضجًا وتوازنًا، فالشاعر قد وظف تقنية القناع، ليتكلم بلسان الشاعر كمال سبتي، فهو يفخر؛ لأنه من حضارة سومر، فقد غدت كلماته شعره

حاضرًا وخالدًا، على مر العصور، وقد شبه شعره بالعرجون القديم، وهذا الاستدلال التوظيفي القرآني، قد أتخذ منه رؤية فلسفية لشعره، إنَّ شعره كالشعر الكلاسيكي في القوة والمتانة، وجودة السبك.

وهذا المعنى التداولي للاستدلال الحجاجي القرآني يتقاطع مع الرؤية القرآنية من سورة (يس)، قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[يس:٣٩]، ((وإنما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم، والقديم هو اليابس، لأن ذلك من العِذْق، لا يكاد يوجد إلا متقوّسًا منحنيًا إذا قدم ويبس، ولا يكاد أن يُصاب مستويًا معتدلا كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمرُ إذا كان في آخر الشهر قبل استسراره، صار في انحنائه وتقوّسه نظير ذلك العرجون)) [٢٦].

فالحجاج الاستدلالي القرآني، يستعملُ أساسًا للتوضيح، لإعطاء نوعًا من الحضور في الوعي، وبذلك فهو يحرك خيال القارئ، ولكي يكون القارئ قادرًا على الإقناع[٢٧].

المستوى الثالث:المعجمية:

يبنى الشاعر نصه عبر الاستدلال التوظيفي لبعض المفردات القرآنية، فتكون تلك المفردات متماهية مع نصه، وطيعة في فسيفساء النص ككل، ولكن تشكل تلك المفردات إضاءات علامية فارقة، بالنص، ولها أبعاد دلالية وحجاجية، ممَّا تتعزز وظيفتها التداولية في النص، وتمنحه القدرة على الانفتاح.

نرقب له في قصيدته (من أحوال الحافي وأماليه) فيقول[٢٨]:

سَأَلوا عن بيتي عن قَصْري
عن أَسْرَارِي
وَتَنَاسوا هذا القلبَ الموجوعَ بأَنَّتِه
وَاكْتالوا ضَجراً وحنيناً وجُنُونًا
وَمَضوا في شَغَفِ البُؤسِ

يتشاكل النص مع المفردات القرآنية، وهذا التشاكل يمنحه القدرة على الانفتاح على سياقات مختلفة، والتي تمنحه أبعاد تأويليه مختلفة، فالعلامة المعجمية عندما تستقدم من

سياقها الدلالي الأول، تحافظ على بعض معانيها، وهذه المعاني القديمة تشكل الأساس في النص الجديد، تداولية النص تقوم على العرفان والزهد في الدنيا، وهناك صراعًا خفي بين قطبي الزهد في الدنيا، وبين السلطة التي تبحث عن شيء ما تدينه، لكنهم نسوا أنّ موضع الحنين والعرفان والزهد والألم في القلب، لا في البيت والأسرار، فهذه الماديات لا تساوي شيئًا عنده.

الاستدلال القرآني قد منح النص إضاءة تداولية، فالفعل التلفظي اكتالوا يحمل المبالغة في الكيل، ويظهر مدى الحقد الذي يضمروه، فالنص تغلب عليه المعاني المحسوسة، أما اللفظ الاستدلالي يقوم على أساس مادي (وَاكْتالوا) ، فالكيل مخصوص بالطعام، وهذا المعنى المعجمي للمفردة، والقرآني كذلك، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢]، فالكيل كيل الطعام، قال الفراء ((قد كِلتك طعامًا كثيرًا، وكِلتني مثله. تريد: كِلْتَ لي، وكِلْتُ لَكَ، وسمعت أعرابية تَقُولُ: إِذَا صَدَرَ النَّاس أتينا التاجر، فيكيلنا المُدَّ والمُدَّين إلى الموسم المقبل))[٢٩].

فالبنية الحجاجية للنص قد دعمها بالاستدلال المادي ليعززها في ذهن المخاطب، وتكون واضحة أمامه[٣٠].

ونقرأ له في قصيدته (صحيفة المتلمس) فيقول[٣١]:

وهذا قرصُ النومِ لدى العطار
في اليومِ الأولِ نِطعمُ من زبدِ الجنةِ
في اليوم الثاني..... لا ندري
كم طفلٍ يأوي دونَ رغيفٍ
والأطفالُ كثيرٌ ببلادي
كسرابيل الأذرعِ في حوماتِ
الآجالِ

العلامة المعجمية القرآنية، تمنح النص القدرة على التأويل المضاعف، فنقل العلامة المعجمية، من سياق نصي إلى آخر، يمنح النص تأويلاً مختلفاً، فالاستدلال التوظيفي لمادة (سرابيل) كل ما يلبس يطلق عليه سربال، ((السِّرْبالُ: القَميص والدِّرْع، وَقِيلَ: كُلُّ مَا لُبِسَ فَهُوَ سِرْبالٌ، وَقَدْ تَسَرْبَلَ

بِهِ وسَرْبَلَه إياه. وسَرْبَلْتُه فَتَسَرْبَل أَي أَلبسته السِّرْبالَ))[٣٢]، وردة سرابيل في سورة النحل، قال تعالى: ﴿ والله جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل:٨١]، فالسرابيل في الآية تشير إلى ثياب من القطن والكتان والصوف، تقي الإنسان من البرد، أو هي الدروع المصنوعة من الحديد تقي المحارب من الإصابة في الحرب.

فالاستدلال المعجمي في النص الشعري يقوم على تقنية التشبيه، فقد نزع الشاعر إلى تشبيه كثرة الاطفال الفقراء في البلد، مثلما يكسو أذرع الْقَطِيعِ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ، فالصورة التشبيهية كلما كانت قريبة من ذهن المخاطب وتصوره، كلما كانت أكثر إقناعٍ وتأثيرٍ، فقد المشابهة بين السرابيل وكثرة أطفال العراق، لا ليكشف عن كثرة الأطفال، فهذه حالة جيدة، وإنّما ليكشف حجم فقر هؤلاء الأطفال، وهذا التشبيه ينزع إلى صور تداولية عديدة، منها يكشف معاناة الأطفال الفقراء، أو كثرة الأطفال الفقراء، وهذه الصور، تكشف عن مدى هشاشة النظام السياسي الذي يهتم بالبهرجة وأطفاله يبيتون وبطونهم خاوية، فالصورة البلاغية تكون بذلك وسيلة من وسائل الإقناع، ((إنَّ الصورة البلاغية وسيلة الشاعر ليعبر بها عن حالات لا يمكن له أن يتفهمها أو يجسدها بدونه، فهي الوحيدة القادرة على تقديم المعنى الذي يرومه أو الحالة التي يعيشها))[٣٣].

أما في (صحيفة المتلمس)، نقرأ له[٣٤]:

وأُكلّمُ مَنْ يأَتِي لتحياتِي مِنْ خَلْفِ حِجَاب

قلْت: (الحرفُ حِجَابٌ والحِجابُ حَرْفٌ)

وَتلكَ صُرُوحكَ أيُّها (الـ....) مَبنّياتٌ بعظامِي

التشاكل اللفظي للعلامة المعجمية (صُرُوحكَ) لا تغادر المعنى الأصل التي وردت فيه في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ

ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر:٣٦]، فالصرح هو البناء العظيم، أو هو ((البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر))[٣٥].

أما البنية التداولية للنص، أنه حتى حاجب الملك وباني تلك القصور لم يسلم من طغيان هذا الحاكم الجبار، اعتمد في زيادة إقناع هذا الحاكم بتوظيف العلامة المعجمية بالمصداقية، حيث قدم عن نفسه إفادة مباشرة أنَّ قصوره ودور حكمه مبنيات بجهده، وهذا يفيد زيادة قابلية التصديق، لما تحتوي على علل مقنعة، وبذلك يؤثر في مصداقية الخطاب له، بقصد التأثير فيه وإقناعه، وعلى الرغم من تدعيم الخطاب الحجاجي بقيمة المصداقية إلا أنّ النص يحوي معنى تداولي آخر، أنَّ هذا الحاكم لم يسلم من بطشه حتى باني قصوره، ورجله الأول.

ونرقب له في قصيدته (مرآة السندس) فيقول فيها[٣٦] :

أَينَ يَلقاكَ مُحِبٌّ
ذُو حَنِينٍ وخطَايا
أَينَ يَلْقَاكَ الَّذِي مَسَّتْهُ أَوْجاعُ
الهُيامِ

المقتضى المعجمي لبنية النص اعتمد على التوازي التكراري لأسلوب الاستفهام، وهذا يكشف البنية التداولية للنص القائم على محورية التوسل بالإمام الحسين عليه السلام، حُبًّا بالإمام الشهيد، وشوق اللقاء به في يوم الورود، فصيغة اسم الاستفهام (أين) المكانية، تقوم على مفهوم محوري المكان، حيث يتحقق فيه هذا الهيام، نلحظ في كلا الجملتين المتوازيتين، تقوم على الاستدلال التوظيفي للمعجم القرآني، الجملة الأولى (خطايا) والثانية (مَسَّتْهُ) نلحظ أنَّ المقتضى المعجمي للاستدلال القرآني كانت الكلمة المحورية في النص، وهي الدعوى الرئيسة في حجاجية النص، أما في الجملة الأولى فكانت معطوفة على (ذُو حَنِينٍ) ؛ ذلك أنَّ من صفات المحب، أن يقدمَ مدى عشقه بالمحبوب، ثم بعد ذلك يكشفُ عن الأشياء الأخرى في هذا المُحبِّ أنه ذو خطايا، فالنص الحجاجي يتأسس على مقدمة،

ودعوى وترتبط المقدمة بالدعوى ارتباطًا منطقيا حتى يصح تدعيمها، وقد تتفرع الدعوى الرئيسة إلى دعوى ثانوية، تكون الدعوى الثانوية لها قصد في خدمة نتيجة الخطاب إثبات المرسل صحة رأيه[٣٧]، والدعوى الثانوية لا لصحة الرأي، إنّما تقوم على قصد تداولي أنَّ الذنب في المحبِّ، ذلك لتعزيز الحب وبقاء ديموته، وكذلك طمعًا في طلب الصفح عن الذنوب المرتكبة منه.

الاستدلال المعجمي القرآني، قد توزع على الجملتين في الجملة الأولى (خطايا) وردت في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [العنكبوت:١٢]، فقد نقلت بمعناها المعجمي، الخطايا جمع خطيئة وهي الذنب، وجاءت على صيغة ((فعيلة بمعنى مفعولة؛ لأنَّها مخطوء بها، أي: مسلوك بها مسلك الخطأ أشاروا إلى أنها فعل يحق أن لا يقع فيه فاعله إلا خطأ فهي الذنب والمعصية))[٣٨]، والثانية (مَسَّتْهُ) وردت في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٢]، أما المقتضى المعجمي لـ(مسَّ) حافظ على المعنى المعجم، ولكنه فارقه في المقتضى التداولي، فدلالة مسَّ في القرآن تأتي في سياق الشر، ((المس حقيقته: اتصال الجسم بجسم آخر وهو مجاز في إصابة الشيء وحلوله، فمنه مس الشيطان أي حلول ضر الجنة بالعقل، ومس سقر: ما يصيب من نارها، ومسه الفقر والضر: إذا حل به، وأكثر ما يطلق في إصابة الشر))[٣٩]، فالمس في النص الشعري يدلُّ على أصابه الهيام، أقصى درجات الحب، فالمفارقة التي احدثها النص الشعري، هو الدلالة على الحب، أما في القرآن فدل على الوقوع في الشر.

فحجاجية التكرار في النص كاشفة عن المعنى التداولي فيه القائم على تأكيد حبه للإمام الحسين عليه السلام واتباعه لنهجه القويم، فالتكرار ((طريقة من طُرق العرضِ ذاتِ الأثرِ الحجاجيِّ، فجَعْلُ المعنى الواحدِ يتكرَّرُ مِرارًا، من

شأنه أن يلفتَ الإنتباه إلى الأهميةِ التِي يكتَسِبُها الموضوع الَّذي تراكمتْ حولهُ هذهِ الحكاياتُ، وبذلكَ يتسمُ الموضوعُ في ذهن السَّامعين، ويكونُ أبعثَ على الإنفعال))[٤٠].

المستوى الرابع: التناص الإيحائي أو الإشاري:

وهذا النوع من التناص تحضر روحية القرآن ورمزيته، وإيماءاته وترميزاته، وشفراته، لا نصه،((من طريق الإشارة المركزة، بحيث تغدو هذه الإشارة بمثابة الاستحضار الكامل لتلك النصوص، من دون أن يكون هنالك حضور لفظي كامل، أو محور، أو جزئي لها في النصوص اللاحقة، وغالبًا ما يعتمد هذا النوع من التناص على لفظة واحدة أو لفظتين))[٤١]، وقد لا يعتمد على اللفظ وإنما بالمعنى.

من ذلك نقرأ له في قصيدته (ليتك يا فرات) ، حيث يقول[٤٢]:

أجل ما زالَ صوتُكَ يتفرسُ
في ضمائِرنا
فتنبتُ الحروفُ العصيّة
نخيلاً لم يمسسها
إلا الأتقياء
هذا الحُسين صبيغٌ بالدمِ الإرجواني
متلفّعُ بملاءات الرسالة
الأبدية

تتضحُ في النص الشعري عملية الإزدواج بين النص الغائب/ القرآن الكريم، والنص الحاضر، وهذا يؤثر على القارئ، ويجذب انتباه، لطبيعة هذا الامتصاص، ودوره، فضلاً عن أثره الحجاجي، يقوم النص على محور تداولي واضح، أن كلمات الحسين عليه السلام خصوصًا في يوم الطف شكلت نبراسًا حيًّا لكل محبيه ومريدين نهجه القويم، فأضحت تلك الكلمات مشعلًا شامخًا مثل النخيل، هذا النوع من النزوع الاستعاري في النص، يجعل تلك الصورة أكثر وضوح وتأثير، ذلك أنَّ قوة الحجاج في المفردات التي تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي، إن للاستعارات ذات الدور الحجاجي خاصية ثابتة، فالسمات الدلالية المحتفظ بها في عملية

التخيّر الدلالي الذي تقوم عليه هذه الاستعارات هي سمات قيمية(٤٣).

نرقب التأثير القرآني لهذا النص من قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[الواقعة:٧٩]، فكما أن القرآن الكريم، طاهر ولا يقرب إليه إلا من كان طاهرًا، فكذلك كلمات الحسين عليه السلام عظيمة ولا تأثر إلا من كان نقي القلب والسريرة، أما من كان غير ذلك فلا تمسه تلك الكلمات.

ونرقب له في قصيدته (صحيفة المتلمس) ، يقول(٤٤):

وَأُعاقِرُ حُمَيَّا اليمِّ غُبارَ العَنْقَاءِ
وَاطْمَئِنُّ كثيراً؛ لأنَّ الأرضَ التي نُعَمِّرُها
ونُشيّدُ فِيهَا للموتِ قِلاعًا... وقِلاعًا أخرى....؟

يرتكز النص في بنيته على النص الغائب من قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود:٦١]، لكن المعنى الموظف فيه قد فارق نصه الأصل، نتيجة اختلاف الثقافة والسياق الذي نشأ فيه في النص الجديد، عنف السلطة تولد عنفًا عامًا، يسود المجتمع، فجبروت وطغيان الحكام، يولد قلاعًا للموت، بدلًا ما تكون هناك قلاع للحياة، فالاستدلال القرآني الموظف في النص يقوم على ألية الاستعارة الحجاجية، (ونُشيّدُ فِيهَا للموتِ قِلاعًا) تكمن قوة هذه الاستعارة في بعدها المجازي، ذلك أنها لو كانت بمعناها الحقيقي (ونُشيّدُ فِي الحياةِ قلاعًا) ، لا تؤثر على المتلقي، وهذا النوع من الاستعارة خاضع للسلم الحجاجي:

١- ونُشيّدُ فِي الحياةِ قلاعًا.
٢- ونُشيّدُ فِيهَا للموتِ قِلاعًا.

نلاحظ أنَّ الجملة الثانية لها قوة حجاجية عالية مقارنة بالجملة الأولى، أي أنَّ الاستعارة الحجاجية تكون في أعلى درجات السلم الحجاجي، لقوتها وقدرتها على الاقناع والتأثير، والاستعارة الحجاجية لا تحتاج إلى تكلف في صوغها وصناعتها، أو اقحامها في النص، وإنَّما يجب أن تكون عفو الخاطر، حتى تؤثر في المتلقي، وتوجهه نحو ما يقتضيه الخطاب.

وهذه الاستعارة تُدرك بإحدى الحواس، وهذا ما يجعلها شاخصة في ذهن المخاطب، ممّا يزيد في حجاجيتها؛ وجذب انتباه المتلقي والتأثير فيه، وأنَّ ((الاستعارات هي الطريقة التي تعلمنا بها إدراك العالم الذي نعيش فيه... لن تكون الاستعارة مظهرًا لغويًا صرفًا، بل تكون مظهرًا ثقافيًا عامًا تتأثرُ به اللغة كما تتأثرُ به سائر المظاهر الأخرى مثل السلوكيات والأنشطة التي نباشرها))[٤٥].

ونقرأ له في قصيدته (مِرآةُ السندس) حيث يقول[٤٦]:

ونَجِيع الطَّفْلُ كَم يعلُو صُرَاخًا
أَيُّ ذَنْبٍ كَان مِنِّي
وَالنِّبال السُّودُ قد حَزَّتْ فُؤادِي
يا أَبي هذِي لِكَأْسِي
وَسَأَشْكُو اللهَ سَبْيي واضْطهَادِي
وَسَأَلْقِي قَاتِلِي لا بُدَّ يومًا
وَيكُونُ القَصُّ حَسْبِي واعْتِقَادِي

يستعيد الشاعر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [لتكوير:٨-٩]، في بنائه للنص، الطفلة التي قُتلت ستسأل القاتل يوم القيامة عن سبب قتلها وتحاسبه، وكذلك الطفل الرضيع، يخاطب والده/ الحسين عليه السلام عن سبب حزَّ النبال السود فؤاده، بناء النص اعتمد على تقنية الحوار، وهذه التقنية من شأنها تعزز الأفق الحجاجي القائم عليه النص، فقول الطفل الرضيع (أَيُّ ذَنْبٍ كَان مِنِّي/ وَالنِّبال السُّودُ قد حَزَّتْ فُؤادِي)، فالسؤال الاستفهامي بُني على أساس الدعوى الافتراضية التي يقيمها الطفل ضد قاتله، وبذلك المعطى التداولي لهذا السؤال، تحفيز ذهن المتلقي، بأنَّ الطفل سيسأل القاتل، مثلما الطفلة المؤدة تسأل قاتلها، وهذا التشابه، يعطي مقصدًا تداوليًا خطيرًا بأن المجتمعَ لم يطرأ عليه تغير فإذا كان القاتل في المجتمع العربي قبل الإسلام

كان يقتل الفتاة أو يدفنها وهي على قيد الحياة، لعادة مجتمعية، فهنا العادة أضحت معطى أيديولوجي أنه لا يجب إبقاء الطفل الرضيع على قيد الحياة بجريرة والده الذي لم يبايع أمير الشر/ يزيد، نلاحظ أنَّ بنية النص قد قدمت الدعوى الأقوى، وأضمر الحجة، وأنه لا يجب أن تنفصل الدعوة عن الحجة، إلا أن الحجة إذا أضمرت تكون أبلغ في التأثير، فتجعل المتلقي يعمل على اكتشافها، ويكون بذلك مندمجًا.

السؤال له أهمية بالغة في النص الحجاجي؛ لأنه ((الإمكانية الوحيدة التي يسمح بها السؤال عن جوهر الكلام، وهذا ما يمثِّل حجر الزاوية))[٤٧]، في النص، وهذا السؤال المفترض انفتح إلى العالم الخارجي، بوصف دعوى المقامة التي تضمنها السؤال، ظاهرة اجتماعية وثقافية تحاكي الآخر، أيًّا كان سواء فردًا أو جماعة.

نتائج البحث:

١- مصطلح القرآنية، مصطلح قديم جديد يحتاج إلى الحفر الإركيولوجي فيه، وكشف عن بنياته الثقافية وأساليبه، وأدواته، وقراءة مصطلحاته المتعددة.

٢- هذا المصطلح لا يمكن قراءته بمعزل عن العلوم اللسانية الأخرى، فمادام أنه يبحث عن نصوص منفتحة على نصوص أخرى، فذلك أن الذي يدعو إلى الاستدلال وتوظيف تلك النص الغائبة والممتصة، لأجل التأثير في المتلقي أو قناعة بدعوى مقامة، أو إيصال رسالة للمتلقي.

٣- القرآنية الحجاجية، هي إحدى الوسائل الكاشفة عن المعطى التداولي الغائب في النص، وكشفه.

٤- نصُّ الشاعر عبد الأمير خليل مراد، نصٌّ مُتقنٌ، وقد وظفَ فِيهِ جميع الآليات الحجاجية، لتكمين نصهِ، والتأثير في ذهن المتلقي، وصوغ رسالتِهِ

الكونيةِ، لقصد التأثير في الآخر المتعدد وإقناعه.

التوصيات:

النصُّ الشعري من أغنى النصوص الإبداعية وأوجزها، وهذا ما يمنحها صعوبة في كشف مقاصدها التداولية، وكشف شفراتها؛ لكونها نصوص منفتحة على نصوص غائبة كثيرة ومتنوعة، وهذا يسهم في غنائها، وصعوبة الكشف عن تلك النصوص الغائبة، وكشف أبعادها الحجاجية والإقناعية، والقرآنية، هو أحد الأدوات الكشافة عن شفرات تلك النصوص، ورسائلها، فهذا المصطلح يعتمد على مجموعة من الآليات، وأحدى هذه الآليات الحجاج، لهذا نرجو من طلبة الدراسات العليا الكشف عن الأبعاد الحجاجية والإقناعية في توظيف هذا المصلح في النصوص الإبداعية المختلفة، ولا سيما الشعرية.

الهوامش:

١- ينظر: الفهرست، لابن النديم: ٩٦.

٢- أخبار أبي تمام: ٣٠.

٣- ديوانه: ٤٥.

٤- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ١/ ٧٨.

٥- ينظر: العمدة: ٢/ ٢٨٢.

٦- ينظر: علم النص، جوليا كريستيفيا، تر: فريد الزاهي، ومراجعة عبد الجليل ناظم: ٢١.

٧- ينظر: نظرية النص، رولان بارت، تر: منجي الشملي، عبد الله صوله، ومحمد القاضي: ٨١.

٨- القرآنية في شعر محمد حسين آل ياسين، قراءة في الصحف الأولى، د-مشتاق عباس معن: ٢١٩.

٩- اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي: ١٦-١٧.

١٠- المصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة، بيرلمان وتيتكا، تر: محمد الولي: ٢٧.

١١- معجم المصطلحات الأدبية المعاصر، د. سعيد علوش: ٢١٥.

١٢- نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض: ٢٩١.

١٣- إيماءات بعيدة: ٧٥.

١٤- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن): ٢/ ٤٩.

١٥- ينظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو اسحاق الزجاج: ١/ ٢٣٠.

١٦- إيماءات بعيدة: ٨٩.

١٧- مكابدات الحافي: ١٩.

١٨- وظيفة التناص الحجاجية والتأثيرية في مقامات الحريري، علي عبد النبي فرحان، (الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسة في البلاغة الجديدة)، إشراف: حافظ إسماعيل علوي: ٢٣٢.

١٩- الضحك من الأيام الآتية: ٢٦.

٢٠- مكابدات الحافي: ٢٤.

٢١- المظاهر اللغوية للحجاج- مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، رشيد الراضي: ٩٦.

٢٢- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): ١٧/ ٢٣١.

٢٣- الوطن أول الأشياء: ١٦.

٢٤- الإمبراطورية الخطابية صناعة

الخطابة والحجاج، شاييم بيرلمان، تر: د.الحسين بنو هاشم: ١٩٣.

٢٥- الضحك من الأيّام الآتية:٥٥.

٢٦- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن): ٢٠/ ٥١٨.

٢٧- ينظر: الإمبراطورية الخطابية صناعة الخطابة والحجاج: ١٩٠.

٢٨- مكابدات الحافي: ٧٧.

٢٩- معاني القرآن، الفراء:٣/ ٢٤٥-٢٤٦.

٣٠- ينظر: الإمبراطورية الخطابية صناعة الخطابة والحجاج: ١٩٢.

٣١- إيماءات بعيدة:٧٩.

٣٢- لسان العرب: ١١/ ٣٣٥(مادة: س،ر،ب،ل).

٣٣- المقولات البلاغية دراسة مقامية براغماتية، منال النجار، (بحث) في التداوليات علم استعمال اللغة: ٥٧٣.

٣٤- صحيفة المتلمس: ٨٩.

٣٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري:٤/ ١٦٧.

٣٦- مكابدات الحافي: ٤٠

٣٧- ينظر: النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، مجلة فصول، ع ٦٠، ٢٠٠٢: ٤٥.

٣٨- التحرير والتنوير: ١/ ٥١٥-٥١٦.

٣٩- م-ن: ٢/ ٣١٦.

٤٠- الحجاج أُطُره ومنطلقاته، د.عبد الله صوله: ٣١٨.

٤١- أشكال التناص الشعري- شعر البياتي نموذجًا، أحمد طعمة حلبي، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع٢٣٠، ٢٠٠٧: ١٥.

٤٢- الضحك من الأيام الآتية:٦٤.

٤٣- ينظر: الاستعارة والحجاج، ميشيل لوجيرن، تر: الطاهر وعزيز، مجلة المناظرة، ع٤، ١٩٩١: ٨٧-٨٨.

٤٤- صحيفة المتلمس: ٨٩.

٤٥- الاستعارات التي نحيا بها، جورج لا يكوف ومارك جونسن، تر: عبد المجيد جحفة: ١٢.

٤٦- مكابدات الحافي: ٤٥.

٤٧- البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، (بحث) ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: ٣٩٢.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أوّلًا: دواوين الشاعر عبد الأمير خليل مراد.

١- إيماءات بعيدة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.

٢- صحيفة المتلمس، دار الصواف، بابل، ط٢، ٢٠٢٠م.

٣- الضحك من الأيام الآتية، منشورات دار الفرات الإعلامية، بابل، ط١، ٢٠٠٩م.

٤- مُكابدات الحافي، منشورات اتحاد الأدباء والكتاب في العراق، بغداد، ٢٠٢١م.

٥- الوطن أول الأشياء، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥م.

ثانيًا: المصادر والمراجع.

١- أخبار أبي تمام، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، نشره وحققه وعلق عليه: خليل محمود عساكر، وآخرون، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، (د-ط)(د-ت).

٢- الاستعارات التي نحيا بها، جورج لا يكوف ومارك جونسن، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ٢٠٠٩م.

٣- الإمبراطورية الخطابية صناعة الخطابة والحجاج، شاييم بيرلمان، تر: د.الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٢٢م.

٤- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٥- تفسير الطبري-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

٦- تفسير القرطبي- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

٧- الحجاج أُطُره ومنطلقاته، د. عبد الله صوله، منشورات كلية الآداب منُّوبة، تونس، ١٩٨٨م.

الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٢٠- معجم المصطلحات الأدبية المعاصر، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، وسوشبريس، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥م.
٢١- نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ٢٠١٠م.
ثالثًا: البحوث العلمية.
١- الاستعارة والحجاج، ميشيل لوجيرن، تر: الطاهر وعزيز، مجلة المناظرة، ع٤، ١٩٩١م.
٢- أشكال التناص الشعري- شعر البياتي نموذجًا، أحمد طعمة حلبي، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع٢٣٠، ٢٠٠٧م.
٣- البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، محمد علي القارصي (بحث) ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون، والعلوم الإنسانية، تونس.
٤- القرآنية في شعر محمد حسين آل ياسين، قراءة في الصحف الأولى، د.مشتاق عباس معن، مجلة كلية الآداب، ع ٧٣، ٢٠٠٦.
٥- المقولات البلاغية دراسة مقامية براغماتية، منال النجار، (بحث) في التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم، حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، ط٢، ٢٠١٤م.
٦- النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، مجملة فصول، ع ٦٠، ٢٠٠٢م.
٧- نظرية النص، رولان بارت، تر: منجي الشملي، عبد الله صوله، ومحمد القاضي، حوليات الجامعة التونسية، ع ٢٧، ١٩٨٨م.
٨- وظيفة التناص الحجاجية والتأثيرية في مقامات الحريري، علي عبد النبي فرحان، (الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسة في البلاغة الجديدة)، إشراف: حافظ إسماعيل علوي، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م.

٨- ديوان ابن الدراج القسطلي، حققه وعلق عليه وقدمه: د. محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٩٦١م.
٩- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط١، ١٩٨١م.
١٠- علم النص، جوليا كريستيفيا، تر: فريد الزاهي، ومراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠١٤م.
١١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م.
١٢- الفهرست، لابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.
١٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
١٤- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٥- اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.
١٦- المصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة، بيرلمان وتيتكا، تر: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٢٣م.
١٧- المظاهر اللغوية للحجاج- مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٤م.
١٨- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١، (د-ت).
١٩- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم